كامل كيلانى

قصص علمية



أصدقاء الربيع

دار المعارف

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد كامل الكيلانى

القاهرة

كامل كيلانى

قصص علمية

أَصْدِقاءُ الرَّبيع

الطبعة الحادية عشرة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع

مُقدمة

ولدي رشاد :

شَدَّ ما آلمني وحزنني أنْ تُحْرَمَ تِلكَ المُتَعَ العقليَّةَ التِي ينعَمُ بها في البلادِ المتحضرةِ الأُخرى أترابُكَ ولِداتُك ، أعني : البناتِ والبنينَ الّذينَ وُلِدُوا في زمنِ وِلادَتِكَ وأصبَحُوا الآنَ في مثلِ سِنِّكَ .

وقدْ آليْتُ (حلفتُ وأوجبتُ) على نفسِى أنْ أُسلِّيَكَ وأُثقّفَك (أُعلِّمَكَ) وأُقرِّبَ لكَ — جَهْدَ ما أستطيعُ — تِلكَ الثِّمارَ اليانِعَةَ (التِي طابَتْ وحانَ قِطافُها) ، فترجَمتُ وقبستُ لكَ مِنْ طرائِفِ القِصَصِ نُخبَةً مُختارةً تنعَمُ بقراءتها ودرْسِها ، كما نعِمتَ بدرْسِ القِصَصِ الجُغرافِيَّةِ مِنْ قَبْلُ . ولنْ يكونَ إعجابُكَ بهذِهِ القِصَصِ العِلمِيَّةِ أقلَّ مِنْ إعجابِكَ بتِلكَ القِصَصِ الجُغرافِيَّةِ ، التِي ظفِرتْ بإقبالِكَ عليْها ، ونالتْ موفُورَ رِضاكَ .

وَبَعْدُ ، فَلَيْسَ لِي فِي هٰذِهِ الْقِصَصِ إِلَّا جُهْدُ الاخْتِيارِ والتَّرْجَمَةِ والاقْتِباسِ . أَمَّا جُهْدُ الابْتِكارِ والْإِبْداعِ (الِاخْتِراعِ) ؛ فَقَدْ أَلْقَيْتُه عَلَى عاتِقِكَ لِتُؤَدِّيَهُ إلَى أَطْفالِ جِيلِكَ الْقادِمِ ، مَتَى كَبِرَتْ سِنُّكَ وَكَمُلَتْ ثَقافَتُكَ .

وَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أَزِيدَ عَلَى وَضْعِ الْأَساسِ الصَّالِحِ أَمَّا الْبِناءُ ، فَقَدْ وَكَلْتُهُ إِلَيْكَ . وَأَنا عَلَى ثِقَةٍ أَنَّكَ مُحَقِّقٌ هٰـذا الرَّجاءَ ، وَمُؤَدٍّ هٰذا الدَّيْنَ — مَتَى أَصْبَحْتَ فِي عِدادِ الرِّجالِ الرَّاشِدِينَ — إلَى أَبْنائِكَ وَحَفَدَتِكَ أَوْلادِ أَوْلادِكَ) ، عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ ، وَأَوْفَى غايَةٍ ؟

كامل كيلاني

الفصل الأول

١ — العالَمُ البَهيجُ

فِي أَصيلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ شَهْرِ « مارِسَ » هَبَّ نسيمٌ دافِئٌ يُبَشِّرُ بِمقدَمِ الرَّبيعِ : مَلِكِ فُصولِ السَّنةِ، ويُؤْذِنُ بانقضاءِ فصلِ الشتاء .

وَقدِ اسْتقبَلَتِ الكائناتُ كُلُّها هٰذا الفَصْلَ الْبَهيجَ فَرْحانةً مُتهلِّلةً ، وَدَبَّتْ حَرارَةُ الشَّمْسِ فَأَنْعَشَتِ النُّفوسَ ، وَأَخَذَتِ الْأَرْضُ زِينَتَها فَأَنْبَتَتْ مِنْ كلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ .

٢ — يَقَظَةُ النَّائِمِ

وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَطَلَّ صاحِبُنا النَّشيطُ : « أَبُو بُرَيْصٍ » مِنْ حُفْرَتِهِ — وَكانَتْ عَلَى مَقْرَبةٍ منَ الطَّريقِ — وَحاوَلَ أَنْ يتنَسَّمَ الهَواءَ (يَشَمَّهُ) بَعْدَ أَنْ حُرِمَهُ زَمَنًا طَويلًا . وَما أَخْرَجَ أَنفَهُ مِنْ حُفْرَتِهِ حتَّى بَهرَ عَيْنَيْهِ شُعاعُ الشَّمْسِ (غَلَبَ ضَوْءُ الشَّمْسِ نُورَهُما فَكادَ يُعْميهما) فَلَمْ تَقْوَيا عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ ، لِاعْتِيادِهما ظَلامَ الْحُفْرَةِ أَشْهُرًا عِدَّةً .

فَأَسْرَعَ « أَبُو بُرَيْصٍ » عائِدًا إِلَى جُحْرِهِ الْمُظْلِمِ .

وَكانَ « أَبُو بُرَيْصٍ » قَدْ نامَ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ — الَّتِى اتَّخَذَها دارًا لَهُ — خَمْسَةَ أَشْهُرٍ كامِلَةً ، ولَمْ تَرَ عَيْناهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ فِي أَثْناءِ هٰذِهِ المُدَّةِ الطَّوِيلَةِ ؛ فَلَيْسَ فِى قُدْرَتِهِ — الآنَ — أَنْ يُواجِهَ شُعاعَها السَّاطِعَ ، دَفْعَةً واحِدَةً .

٣ — « أَبو بُرَيْصٍ »

أَراكُمْ تَسْأَلُونَ ، وَقَدْ عَرَتْكُمْ (أَلَمَّتْ بِكُمْ ، وَعَرَضَتْ لَكُمْ) دَهْشَةٌ . تُرَى : ما هو « أَبُو بُرَيْصٍ » ؟

وَلَوْ أَمْعَنْتُمُ الْفِكْرَ قَلِيلًا ، لَعَلِمْتُمْ حَقِيقَتَهُ .

وَإِنِّى ذاكِرٌ لَكُمْ بَعْضَ أَوْصافِهِ ، لِتَتَعَرَّفوهُ بِلا عَناءٍ .

أَمَّا لَوْنُهُ فَهوَ رَمادِيٌّ ، وَأَمَّا ذَنَبُهُ فَطَوِيلٌ نَحِيفٌ . وَلَهُ — إِلَى هٰذا — عَيْنانِ حادَّتا الْبَصَرِ ، وأَرْجُلٌ أَرْبَعٌ غايَةٌ فِى الْقِصَرِ ، وجِسْمٌ تُغَطِّيهِ الْقُشُورُ . وَهُوَ يَأْوِى إِلَى جُحْرٍ ضَيِّقٍ ، فِى حائِطٍ قَدِيمٍ مُتَهَدِّمٍ ، أَوْ حُفْرَةٍ مَهْجُورَةٍ ، حَيْثُ يَتَّخِذُ مِنْها بَيْتًا يَسْكُنُهُ .

أظنكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ حَقِيقَةَ «أبى بُرَيْصٍ» الآنَ ! ألَيْسَ كَذلِكُمْ ؟ نَعَمْ : فإنَّ « أبا بُرَيْصٍ » هُوَ الْبُرْصُ الَّذِى تَعْرِفونه وَتَرَوْنَهُ يَنْظُرُ إلَيْكُمْ بِمَيْنَيْنِ فاحِصَتَيْنِ (باحِثَتَيْنِ) يَعْرُوهُما (يُصِيبُهُما) دَهَشٌ وَحَيْرَةٌ ، وَهُوَ يُطِلُّ عَلَيْكُمْ مِنْ سَقْفِ الْحُجْرَةِ أوْ حائِطِها .

٤ — الرُّفْقَةُ النَّائِمَةُ

وما اسْتَقَرَّ «أبُو بُرَيْصٍ» فى جُحْرِهِ الْمُظْلِمِ زَمَنًا يَسِيرًا ، حتَّى عاوَدَهُ نَشاطُهُ ؛ فَنَظَرَ إلَى رِفاقِهِ : الْبِرَصَةِ ، فرآها لا تَزالُ نائِمَةً مُنْذُ الْخَرِيفِ ؛ فَضَحِكَ مِنْها ساخِرًا ، وقال :

« ها ها ها ! يا لَها من مُتَكاسِلَةٍ نَؤُومٍ (كَثِيرِهِ النَّوْمِ) ! إنَّها لا تَزالُ راقِدَةً مُنْذُ الْخَرِيفِ ، وَأفْواهُها مَفْتُوحَةٌ . . . هيه ! أمَا آنَ لَها أنْ تَسْتَيْقِظَ مِنْ سُباتِها (نَوْمِها) ، لِتَسْتَقْبِلَ الرَّبِيعَ الْبَهِيجَ ! »

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ « أبُو بُرَيْصٍ » كلامَهُ (عادَ إلَى حَدِيثِهِ) ، وَهُوَ يَبْتَعِدُ عنْ رِفاقِهِ (أصْحابِهِ) ، وَيَعْجَبُ مِنْ تَكاسُلِها ، وَيَقولُ :

« إنَّها غارِقَةٌ فى نَوْمِها ، فَهِىَ صُمٌّ لا تَسْمَعُ ، وَكَأنَّنى — إذْ أُنادِيها — أُنادِى حِجارَةً . فَوَداعًا ، أيَّتُها الرِّفاقُ ! »

٥ — بَهجَة الرَّبيع

ثُمَّ خَرَجَ « أبُو بُرَيْصٍ » مِنْ جُحْرِهِ ، لِيَنْعَمَ بِحَرارَةِ الشَّمْسِ تارِكًا رُفْقَتَهُ (أصْحـابَهُ) مُسْتَسْلِمَةً إلى النَّوْم ، وَأنْشَبَ مَخالِبَه (علَّقَ أظفارَهُ) الصَّغِيرَةَ فى حائِطٍ قَرِيبٍ مِنْ جُحْرِه ، وَاسْتقبلَ الرَّبيعَ فرْحانَ مُبْتهِجًا .

وَما اسْتَقَرَّ فى مَكانِهِ لحظَةً حتَّى تَمَلَّـكَهُ السُّرُورُ ، فَبَرقَتْ عَيْناهُ السَّوْداوانِ ، واضْطَرَبَ ذَيْلُه الطَّوِيلُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ؛ لِأَنَّهُ رَأَى فُرْصَةً سانِحَةً لِتَحْقِيقِ مَأرَبِهِ (رَغْبَتِهِ) .

٦ — الفَرِيسَــــةُ

أَتَعْرِفُونَ سرَّ هٰذا الْفَرَحِ ؟ إنِّى مُخْبِرُكُمْ بِهِ :

لَقَدْ سَمِـعَ «أبو بُرَيصٍ» حَرَكَةً خَفِيفَةً طالَما أُعْجِبَ سَمْعُهُ بِطَنِينِها (صَوْتِهـا) ؛ فابتَهجَ وظَهرَ نَشاطُهُ ، وتَرَبَّصَ (انْتظرَ وتَرَقَّبَ) لِانْتِهازِ تِلكَ الْفُرصَةِ السَّانِحَةِ ، وأرْهفَ سَمْعَهُ (أصْغَى وَتسمَّعَ) ، حتَّى يَتَبَيَّنَ صاحِبَ الصَّوْتِ .

ورأى « أبو بُرَيْصٍ » ذُبابةً زَرْقاء ، تَطيرُ مِنْ حَوْلِهِ ، وتَطِنُّ بالقُرْبِ مِنهُ : « زِى ... زى ... » ؛ فاشْتغلَ بِصَيْدِها عَنْ كُلِّ شَىْءٍ ، وترصَّدَ لهـا حتَّى لا تُفْلِتَ منهُ ، وحدَّق بَصَرَهُ فِيها .

ولوْ رأيْتَهُ حينَئذٍ لرأيتَ مَنظَرًا عَجبًا ؛ فقدْ كانَ يُخرِجُ لِسانَه ويَلْحَسُ شَفَتيْهِ ، مُتحفِّزًا لِاقْتناصِ فَرِيستهِ فى شَرَهٍ (حِرْصٍ شَديدٍ) لا مَثيلَ لهُ .

ثُمَّ أعادَتِ الْحَشَرَةُ طَنِينَها : « زِى ... زِى ... » ، وطارَتْ إلى حَجَرٍ ناتِئٍ (مُرْتَفِعٍ خارِجٍ) فى طَرَفِ الْحائطِ .

فغَضِبَ « أبو بُرَيْصٍ » مِنْ فِرارِها (هَرَبِها) ، وحَزَنَهُ أنَّهـا لا تَكادُ تَسْتَقِرُّ فى أىِّ مَكانٍ تَحُلُّ فِيهِ أكْثَرَ مِنْ دَقِيقَتَيْنِ .

وَلَمْ تَمْضِ لَحْظَةٌ أُخرَى ، حَتَّى اقْتَرَبَتْ مِنْ « أبِى بُرَيْصٍ » ،

وحامَتْ (دَارَتْ) حَوْلَ طَائِفَةٍ مِنَ الْحَشائِشِ ، وَلَمْ تَفطَنِ الْحَمْقاءِ إلى عَيْنَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ تَرْقُبانِها ، وَتَتَرَبَّصَانِ لَها .

فَقالَ صاحِبُنا وهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ :

« لَقَدْ حانَتِ الْفُرْصَةُ ، وإنِّى — إنْ أَضَعْتُها — لَأَكونَنَّ مِثالًا لِلْحَماقَةِ والْكَسَلِ ! »

ثُمَّ اسْتَعَدَّ « أَبُو بُرَيْصٍ » ، وَتَهَيَّأَ لِاقْتِناصِها — فِى حَذَرٍ وانْتِباهٍ — وقالَ :

« واحد ... اثنان ... » ثُمَّ هَبَّ (نَهَضَ وقَفَزَ) فِى الثَّالِثَةِ هَبَّةً واحِدةً ، فَأَصابَ طِلْبَتَهُ (حاجَتَهُ) ، وظَفِرَ بِصَيْدِهِ السَّمينِ .

وامْتَلأَتْ نَفْسُ « أَبِى بُرَيْصٍ » غِبْطَةً وسُرُورًا لِنَجاحِهِ وظَفَرِهِ بِتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ ، والْتَمَعَتْ عَيْناهُ ، واهْتَزَّ ذَيْلُهُ فَرَحًا وابْتِهاجًا .

ثُمَّ قالَ ولِسانُهُ يَخْتَلِجُ (يَتَحَرَّكُ ويَرْتَعِشُ) مِنْ فَرْطِ السُّرُورِ

« ما أَلَذَّهُ طَعامًا ، وَما أَشْهاهُ غِذاءً ! فَلْنَتَلَمَّسْ واحِدَةً أُخْرَى . »

الفصل الثانى

١ — فى عُرْضِ الْحائِطِ

وبَعدَ أيَّامٍ قَليلةٍ استَيقظتِ الْبرَصَةُ مِنْ سُباتِها (نوْمِها) الْعميقِ ، وذَهَبتْ طائِفةٌ مِنْها — معَ صَديقِها « أبى بُرَيْصٍ » النَّشيطِ — لِتَنعمَ بِحَرارةِ الشَّمْسِ ، وانْتَشَرَتْ عَلَى الْحائطِ الْقديمِ تَسْتقبلُ الرَّبيعَ مُبْتهجةً. وكانتْ تلكَ الطَّائفةُ تتألَّفُ من : آباءٍ بَدِينَةٍ (سَمينةٍ) مُمتلئةٍ ، وأُمَّاتٍ نحيفةِ الْجسمِ جَميلةِ المنظَرِ (أُمَّهات . والأُمَّاتُ لِلْحَيوانِ كالأُمَّهاتِ للإِنْسانِ) ، وجَمْهرةٍ (جَماعةٍ) من الأَبْناءِ يَتجلَّى فيها النَّشاطُ والطَّيْشُ.

وكان « أبُو بُرَيْصٍ » النَّشيطُ جالِسًا عَلَى حَجَرٍ — بالْقُرْبِ مِنْ رِفاقِهِ — وقدْ شَغَلهُ التَّفكيرُ عنها فَلَمْ يَتحَرَّكْ مِنْ مَكانِه .

٢ — « دابَّةُ النَّهْرِ »

فاقتَرَبَ مِنهُ أحدُ أصْحابِه ، وسأَلهُ قائلًا :

« هِيهِ يا صاحِ ! ما بالُكَ مُستَسْلِمًا لِلتَّفكيرِ ، مُبتعدًا عَنْ رِفاقِكَ ؟ »

فَدَهِشَ «أبو بُرَيْصٍ» لِهٰذِهِ الْمُفاجأَةِ، وقَفَزَ مِنَ الذُّعْرِ (نَطَّ مِن الْخَوْفِ)، ثُمَّ قالَ لِصاحبَتِهِ: «لَقدْ أَسَأْتِ إلَيَّ — يا «أُمَّ سَلْمَى» — وقَطعْتِ عَلَيَّ تَفْكِيرِى فى صَدِيقتِيَ الْقديمةِ: دابَّةِ النَّهْرِ!»

فقالتْ لهُ «أُمُّ سَلْمى»: «ماذا تقُولُ؟ «دابَّةُ النَّهْرِ»! مَنْ هِيَ؟ فَإِنِّى لا أَكادُ أَذْكُرُها!»

فقالَ لها «أبو بُرَيْصٍ»:

«كلَّا يا صاحبتِي، بلْ أَنْتِ تَعْرِفِينَها ولا تَجْهلِينَها. وما أَظُنُّكِ قدْ نَسِيتِ الضِّفدِعةَ الْخَضْراءَ الْجَميلةَ الَّتى كانتْ تَتحدَّثُ إلَيَّ فى الصَّيْفِ الْماضى، وقدْ كُنَّا ندعُوها: «دابَّةَ النَّهْرِ».

ما كان أَجْملَ عينَيْها، وأَبْدَعَ مَنظَرَها، وأَشْهَى حديثَها...! لقدْ نَعِمْنا بِلقائِها زَمَنًا، ثُمَّ نفرَّقْنا فى الْخَرِيفِ؛ فَذَهبتْ «دابَّةُ النَّهْرِ» إلى حُفرَتِها — فى أَسفلِ هٰذا الْحَائطِ — هرَبًا منَ الْبَرْدِ.

٣ — عَوْدةُ الْحَزِين

وإنى لَأُسائِلُ نَفْسى :

كيفَ حالُ هٰذهِ الصَّديقةِ الْعزيزةِ ؟ وماذا آلَ إليهِ أمْرُها ؟ فَهلْ تَتفضَّلينَ يا « أُمَّ سلْمٰى » فتُنادِيها ، فإنِّى لِلقائِها لَعَلَى شَوْقٍ شَديدٍ . »

فصاحتْ « أُمُّ سلْمٰى » ، وصَرَخَ « أبو بُرَيْصٍ » — فى نَفَسٍ واحدٍ — يُنادِيانِ صاحبتَهما : « دابَّةَ النَّهْرِ » . ولٰكنَّ « دابَّةَ النَّهْرِ » لَمْ تُجِبْ نِداءَهُما ، وقدْ دَعَواها بأَعلَى صَوْتَيْهِما مَرَّاتٍ عِدَّةً .

فَعادَ « أبو بُرَيْصٍ » إلى مَخْبَئِه مَحزُونًا مُتألِّمًا ، يُفكِّرُ فى مَصيرِ صاحبتِه العزيزةِ ، ويَخْشَى عَلَيْها أَحْداثَ الزَّمَنِ وخُطُوبَهُ (نَوائِبَهُ ومَصائبَهُ) .

٤ — بعد أُسبوعَين

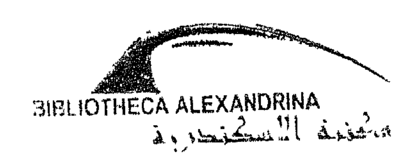
ومَرَّ على هٰذا الْحادِثِ أُسبوعانِ كامِلانِ ، فَدَبَّتِ الْخُضْرَةُ فى الشَّجَراتِ الَّتى تَكْتنِفُ جُحْرَ الأَبارِصِ (تُحيطُ بهِ) . واجْتمعتِ الْحَشَراتُ أَسْرابًا (جَماعاتٍ) ؛ فَغَصَّ بها (ضاقَ) الْفضاءُ على

رُحْبِه ، وامْتلأَ الْجَوُّ بطنِينِها وأهازيجِها (أغانيها) الْمَرِحَةِ . ولٰكِنَّ « أبا بُرَيْصٍ » كان فى شُغْلٍ شاغِلٍ — عَنْ ذٰلِكَ الْعالَمِ الْبَهِيجِ — بالتَّفكيرِ فى مَصيرِ صاحِبَتِه : « دابَّةِ النَّهْرِ » . فقدْ شَغَلَهُ الأَلَمُ لِفِراقِ تلكَ الضِّفدِعةِ الصَّغيرةِ الْخَضْراءِ وأُدْخِلَ فى رُوعِهِ (قَلْبِهِ) أَنَّها لَقِيَتْ حَتْفَها (هلاكَها) .

٥ — فرْحَةُ اللِّقاء

وإنَّهُ لَغارِقٌ فى تأمُّلِهِ — ذاتَ يوْمٍ — إذْ رَأَى نَمْلَةً تَسْقُطُ فى الْماءِ . واسترْعَى بَصَرَهُ ما رآهُ على سَطْحِ الْماءِ مِنْ فَقاقيعِ الْهواءِ الْمُتَصاعِدَةِ إليهِ . ولَمْ يَكَدْ يُنْعِمُ النَّظَرَ (يُدَقِّقُهُ) فى مَصيرِ تلكَ النَّملةِ التّاعِسةِ ، حتَّى رَأَى فَمًا عَريضًا يَظْهَرُ على سَطْحِ الْماءِ . فصاحَ « أبو بُرَيْصٍ » ، وقدْ فاضَ قَلْبُهُ سُرُورًا :

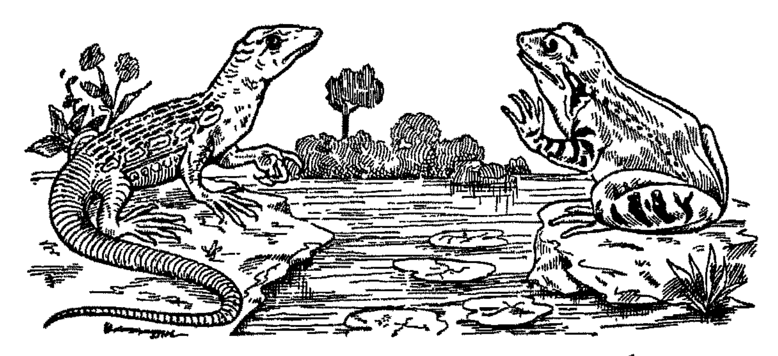
« يالَلسَّعادةِ ! لقدْ ظَفِرْتُ بِصَديقتِيَ الْعزيزةِ : « دابَّةِ النَّهْرِ » ، وقدْ عَرَفتُ جِلْبابَها الأَخْضَرَ الَّذِي يَزْدانُ (يَتحلَّى) بتلكَ النُّقطِ السُّودِ . آهِ . . . لقدْ ظهرَتْ عَيناها الْكبيرتانِ ، وظَهرَتْ تلكَ الدَّائِرةُ



الذَّهبيَّةُ الَّتى تُحيطُ بِها . . إلَىَّ يا « دابَّةَ النَّهْرِ » ! تَعالَىْ ، أيَّتُها الْحَبيبةَ . . عَجيبٌ . . . إنها لا تُجيبُ ! فلأَرْفَعْ صَوْتى لعلَّها تَسْمَعُنى . . .
عِمِى صَباحًا يا « دابَّةَ النَّهْرِ » ، ولْيَكُنْ نَهارُكِ طَيِّبًا ! »

٦ — « أُمُّ هُبَيْرَةَ »

فَسَمِعَ « أبو بُرَيْصٍ » صَوْتًا أَجَشَّ (غَليظًا) ، هُو نَقيقُ صاحبتِه . وقدْ أَجابَهُ فى بُحَّةٍ (غِلَظٍ وخُشُونةٍ) طالَما أَلِفَ سَماعَها مِنْها .



« مَنْ ذا الَّذِى يُنادِينى ؟ »

فقالَ لَها وقَدِ اشْتَدَّ فَرَحُه : « هلُمَّ يا «دابَّةَ النَّهْرِ» ! إلَىَّ يا « أُمَّ هُبَيْرَةَ » ! فأَنا صَدِيقُكِ الْقَدِيمُ « أبو بُرَيْصٍ » الصَّغيرُ الرَّمادىُّ اللَّوْنِ . »

فَأَجابَتْهُ « دابَّةُ النّهْرِ » :

« آه . . . أَأَنتَ صاحبيَ العزيزُ : « أبو بُرَيْصٍ » ؟ مَعْذِرةً يا صديقى ؛ فإنَّنى لَمْ أَستَطِعْ رُؤْيَتَكَ — أَوَّلَ وَهْلَةٍ (أَوَّلَ شَيْءٍ أَراهُ) — لأَنَّنى لا أزالُ عاجزةً عَنِ التَّحْديقِ فى الضَّوْءِ ؛ وقـدْ بهرَنى نُورُ النَّهارِ ، بَعدَ أنْ طالَ مُـكْثى فى ظَلامِ الْقاعِ .

والآنَ أَحْمَدُ اللهَ على لِقائِكَ ؛ فقدْ طالَ شَوْقى إليكَ .

فَخَبِّرْنى : كيفَ قَضَيْتَ فَصْلَ الشِّتاءِ ، ياأبا بُرَيْصٍ ؟ »

فقالَ لَها :

« لَقَدْ قَضَيْتُهُ نائِماً مَعَ رِفاقى .

فَـكَيْفَ قَضَيْتِهِ أنْتِ ، يا أُمَّ هُبَيْرَةَ ؟ »

فقالتْ لَهُ :

« لم يُصِبْنِى مَكْرُوهٌ ؛ فَقَدْ غَمَسْتُ رَأْسِى فى الطِّينِ — كَما فَعل رِفاقِى فِى الْخَريفِ الْماضِي — وأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ . ثُمَّ . . . ثُمَّ ماذا حَصَلَ ؟ هٰذا ما لا أَذْكُرُهُ . لَقدْ نَسِيتُ كُلَّ ما حَدَثَ لى بَعْدَ ذٰلِكَ .

لَعَلَّ أَجْسامَنا قَدْ جَمَدَتْ — حِينَ اشْتَدَّتْ وَطْأَةُ البَرْدِ — وَأَصْبَحَتْ

كالأَحْجارِ الصُّلْبَةِ ؛ فَقَدْ طالما سَمِعْتُ مِنْ جَدَّاتى أَنَّ ذٰلِكَ يَحْدُثُ لنا فى كُلِّ شِتاءٍ . »

٧ — الثَّوْبُ الجَديدُ

فَقالَ لها « أَبو بُرَيْصٍ » ، وَقدْ داناها (اقْتَرَبَ مِنْها) ، وَوَقَفَ أمامَها مَزْهُوًّا فَخُورًا :

« أَنْعِمِى النَّظَرَ فى شَكْلِى ، لَعَلَّكِ تَكْشِفِينَ عَمَّا جَدَّ مِنْ أَنْبائِى (أَخْبارِى) . أَعِيدى فِىَّ نَظْرَةَ فاحِصٍ مُدَقِّقٍ . أَجِيلِى بَصَرَكِ .

أَلا تَرَيْنَ شَيْئًا جَديدًا ؟ »

فَقالَتْ لَهُ « دابَّةُ النَّهْرِ » :

« كَلَّا . . . لا أَرَى شَيْئًا جَديدًا ، يا صاحِ ! »

فَقالَ « أبو بُرَيْصٍ » :

« أَلا تَرَيْنَ الثَّوْبَ الَّذِى أَلبَسُه فى هٰذا العــامِ ؟ أَلا تُبْصِرِينَ جِدَّتَه ؟ »

فَقالَتْ لَهُ :

« يا لَلْعَجَبِ ! أَأَنْتَ لبسْتَ ثَوْباً جَديدًا ؟ »

فَقالَ « أَبُو بُرَيْصٍ » :

« نَعَمْ ، يا صَديقَتِى الْعَزيزةَ . فَقَدْ رَأَيتُ ثَوْبِىَ القَدِيمَ يَخْلَقُ وَيَرِثُّ ، وَلَمْ نَفْتَرِقْ — قُبَيْلَ انْتِهاءِ الْفَصْلِ الماضِى — حَتَّى بَلِىَ ذٰلِكِ الثَّوْبُ ، وَبَدَتْ فِيهِ شُقُوقٌ كَثيرَةٌ . فَضَجِرْتُ بِهِ (ضاقَتْ نَفْسِى مِنْهُ وكَرِهْتُهُ) ، وَاضْطُرِرْتُ إلى تَرْكِه ؛ فَحَكَكْتُ جَسَدى بِحَجَرٍ شَديدٍ صَلْدٍ ؛ فَتَهَرَّأَ الرِّداءُ الخَلَقُ (تَقَطَّعَ الثوْبُ الْبالِى) وَتمزَّقَ ، واستَبْدَلْتُ به — حينئذٍ — ثَوْبِى الجديدَ الذى تَرَيْنَهُ الآنَ . وقدِ ارتَدَيْتُهُ طُولَ فصلِ الشتاء . »

٨ — « أَبُوسَلْمىٰ »

فَقالتْ « دابَّةُ النهرِ » :

« تَقَبَّلْ — يا «أَبا بُرَيْص» — تَهنِئاتى بهٰذا الثَّوْبِ الْأَنيقِ الذى ارتَدَيْتَهُ . ولٰكنْ . . . خَبِّرْنى ، يا صاحِ :

كَيْفَ حالُ عَشيرَتِكَ وأَهلِكَ ؛ فقدْ شَغَلَنى حَديثُكَ الْمُمتِعُ عن سُؤَالِكَ عن أَنباءِ أُسرتِك ؟ كَيف تَجِدُ أَباكَ وإِخْوتَكَ وأَخَواتِكَ ؟ »

فقالَ لها :

« كلُّهمْ بِخَيرٍ ، ما عدا أخى المسكينَ : « أَبا سَلمٰى » التَّاعِسَ الحَزِينَ ! »

فَقالتْ « دابَّةُ النهرِ » :

« وكَيفَ تَكْتُمُ عنِّى هٰذا النَّبأَ الخَطِرَ ؟ كَيفَ يَمْرَضُ أخوكَ فلا تُخْبِرُنى أنهُ مريضٌ ؟ »

فَقالَ « أَبو بُرَيْصٍ » :

« صَدَقْتِ — يا عزيزتى — فقَدْ نَسِيتُ أنْ أُخْبِرَكِ أن « أَبا سَلمٰى » يُعانِى أَلَمًا مُبَرِّحًا (مُتْعِبًا مُؤْذِيًا) ، مُنذُ وَقعَ لهُ ذٰلكِ الحادِثُ الجَلَلُ (العظيمُ) . وَلِكلِّ مَخْلوقٍ حَظُّهُ منَ السّعادَةِ والشَّقاء جميعاً . »

٩ — قاذِفُ الحَصَى

فَقالتْ « دابَّةُ النهرِ » ، وَقدْ تَمَلَّكَها الذُّعْرُ (الخَوْف) :

« تُرَى : أىُّ حادثٍ منْ أَحْداثِ الدَّهْرِ قد أَلَمَّ بِـ « أَبى سَلمٰى » الظَّريفِ الطَّيِّبِ القَلْبِ ؟ »

فَقالَ « أبُو بُرَيْص » :

« لَقَدْ أَلَمَّ به حادثٌ خَطيرٌ فى الخَريفِ الماضى . . . أَلَا تَذكُرِينَ يا « أُمَّ هُبَيْرَةَ » — ذٰلكِ الطفلَ الذى كان يَمُرُّ بدارِنا كلَّ يَوْمٍ ؟ »

فَقالتْ لهُ :

« أتَعْنِى ذٰلكَ الفَتَى الصغيرَ الذى يُنادِيه رِفاقُه بِاسمِ « كمالٍ » ، وَيُلقِّبونَه (يُنادُونه) بلَقَبِ « طارِقٍ » ؟

إنْ كُنتَ تَعْنيهِ ، فَإِنِّى أذكُرُهُ . فقد طالَما صَفَّرَ وَغَنَّى — بالقُرْبِ منَّا — صَفيرًا مُستَعذَبًا ، وغِناءً مُطرِبًا . »

فقالَ « أبو بُرَيْص » :

« هوَ بعَيْنِهِ يا « أُمَّ هُبَيْرَةَ » . وَهوَ طفلٌ ظَريفٌ ، لا عَيْبَ فيهِ إلَّا أنهُ كانَ يَلْهو — أحْيانًا — بقَذْفِ الأحْجارِ . وما أَظنُّه يقْصِدُ بذٰلِكِ إلى الإضْرارِ بكائنٍ كانَ ؛ فهُوَ — فيما أَعلمُ — طَيِّبُ القلْبِ .

وَلٰكنْ : آهٍ من هٰؤُلاءِ الصِّبْيَةِ ! وَواهٍ من ذٰلكِ الحَصَى الذى يَقْذِفونَنا بهِ يَمْنةً ويَسْرةً ، دونَ أن يَعْرِفوا مَدَى ما يُلْحِقونهُ بنا — مَعشرَ الحَشَراتِ والدَّوابِّ — مِنْ أَذًى ! »

١٠ — قِصَّةٌ مُحْزِنَة

فَقالَتْ « دابَّةُ النهرِ » : « خبِّرْني : ماذا حَدثَ لِأَخيكَ ؟ »

فَقالَ « أبو بُرَيْصٍ » :

« لقدْ كانَ « أبو سَلْمَى » جاثِماً (قاعِدًا) — فى هٰذا المَكانِ — فى الخَريفِ الماضى ، يَتلمَّسُ الدِّفءَ فى حَرارةِ الشَّمسِ . وَإِنهُ لَغارقٌ فى أحْلامهِ اللَّذيذةِ ، إِذْ رَماهُ « كمالٌ » بِحَجرٍ صَغيرٍ كان يَلهُو بهِ . فصاحَ « أبو سَلمَى » مُتوجِّعاً مِمَّا أصابَهُ . فأَسْرَعْتُ إلى نَجْدةِ شَقيقى ، فرأَيْتُهُ يتقلَّبُ عَلَى الأرْضِ — ظَهْرًا لِبَطْنٍ — وَيتَوَجَّعُ من شِدَّةِ الأَلَم . واجتَمَعَتْ أُسْرَتُنا حَوْلَهُ تُؤَسِّيهِ ، وَتُسَرِّى عنْهُ ، وَهوَ يبكى وَيَشهَقُ — وما أَجْدَرَهُ بذٰلكِ — فقدْ كادَ الحَجَرُ يَقتُلُهُ .

مَثِّلى لِنفسِكِ (تَصوَّرِى) مقدارَ ما يُعانيهِ « أَبو سَلمَى » ، بعدَ أن قطَعَ الحَجَرُ ذَنَبَهُ ، وَكادَ يُودِى به (يُهْلِكه) ، وَيَقْضى عَلَى حياتهِ ! »

فَقالَتْ « دابَّةُ النهرِ » :

« يا لَشَقائكَ ، يا « أَبا سَلمَى » ! أَعْزِزْ عَلَيَّ ما كابَدْتَ من أَلمٍ !

ما أَشدَّ حُزنى لمُصابِكَ ! »

فَقالَ « أبو بُرَيْصٍ » :

« لقدْ ظلَّ يُعانى الآلامَ زمناً طويلًا ، وكانَ أَبَوايَ يَجيئانِهِ بالطَّعامِ لِعجْزِهِ عنِ الحَرَكةِ . وما زالَ إلى اليَوْمِ مَحْزوناً ، شارِدَ الفِكْرِ . وَقدْ آثَرَ العُزْلَةَ والوَحْدَةَ ، فَما يَكادُ يَبْرَحُ (قَلَّما يَترُكُ) رُكْنَ الحائطِ . »

فَقالتْ « دابَّةُ النهرِ » ، فى لَهْجَةِ المُشْفِقَةِ الحانيَةِ :

« لا بُدَّ لى أنْ أعُودَهُ (أَزُورَهُ) فى بيْتِه ، وَمَعى هَدِيَّةٌ فاخِرَةٌ . لقدِ اعْتَزَمتُ أن أُهْدِيَ إليْهِ أَوَّلَ عَنْكَبٍ أو عَنْكبةٍ أَصْطادُ ؛ لعلَّهُ يَرَى فى هٰذا الطعامِ شيئاً من السَّلْوَى (النِّسيانِ) والعَزاء (الصبرِ) . »

الفصل الثالث

١ — «أبُو مَعْبَدٍ»

مالَتِ الشمْسُ لِلغُروبِ ، والصَّديقانِ لا يَزالانِ يَتحدَّثانِ أَحاديثَ شَتَّى. وَإنَّهما لَكَذٰلكَ إذِ الْتَفَتَ «أبو بُرَيْصٍ» فَجْأَةً إلى صاحِبَتِهِ ، وقال :

« هٰذا ابنُ عمِّكِ قادِماً علَيْنا ، يا «أُمَّ هُبَيْرَةَ» . وهوَ آيةٌ مِن آياتِ القُبْحِ والدَّمامةِ ، وقدْ نَسِيتُ اسْمَه ؛ فهلْ تَذْكُرينَه لِي مُتَفَضِّلَةً ؟ »

فالْتَفَتتْ «دابّةُ النَّهرِ» إلَى القادِمِ ، وحَيَّتْه قائِلةً :

« عِمْ مَساءً يا ابنَ عَمِّيَ «النَّقّاقُ» ، ولْيَطِبْ لَيلُكَ ! كَيفَ تَجِدُكَ يا أَبا مَعبَدٍ ؟ »

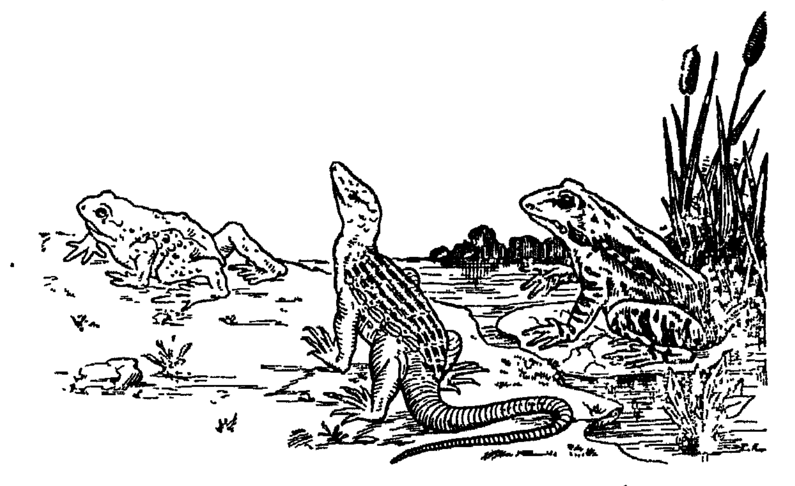
فقالَ لَها «النقّاقُ» :

« بخَيْرٍ — يا ابْنَةَ العَمِّ — ما دُمتِ أَنتِ بخيرٍ . »

فاسْتَأْنَفتْ «دابّةُ النَّهرِ» قائِلةً :

« مالِي أَراكَ تُسرعُ فِي خُطاكَ ، يا «أبا مَعْبدٍ» ؟ أَلا تَسترِيحُ مَعنا

قَليلًا ؛ لِتَشْتَرِكَنا فى أسْمارِنا وأحادِيثِنا المُعْجِبَةِ ، وتَتَعَرَّفَ بصَديقِ العَزِيزِ « أبى بُرَيْصٍ » ؛ فهوَ يُحِبُّ أن يَراكَ ويأْنسَ بكَ ؟ »



فقالَ لها « النَّقَّاقُ » :

« مَعذِرةً — يا ابْنَةَ العَمِّ — فلَسْتُ أستطِيعُ البَقاءَ مَعَكُما ؛ لِأَنَّنى فى حاجةٍ إلَى زِيارةِ حَديقةِ الكُرُنْبِ ، قبْلَ أن يَضيعَ الوَقْتُ . فوَداعًا ! »

٢ — ابْنُ العَمِّ

فقالَ « أبو بُرَيْصٍ » :

« إنَّ ابنَ عمِّكِ « النَّقَّاقَ » يَجْمعُ إلَى دَمامَةِ المَنظرِ (قُبْحِ

الهَيْئَةِ) قِلَّةَ الذَّوْقِ . فهلْ أَنْتِ واثِقةٌ أنهُ ابنُ عمِّكِ حقًّا ؟ »

فقالتْ « دابةُ النهرِ » :

« لَيْسَ فى هٰذا أقلُّ شَكٍّ . ولَوْ أَنْعَمْتَ النظرَ ، لَرَأَيتَنا مُتَشابِهَيْنِ فى أَشْياءَ كَثيرَةٍ ، وإنْ كانَ مَوْطِنُه البَرَّ ، ومَوطِنِيَ الْبَرَّ والبَحْرَ معًا عَلَى أَنَّ له مِثلى ... »

فقاطَعها « أبو بُرَيصٍ » :

« كَيفَ يَكُونُ « النَّقاقُ » ابنَ عمِّكِ ، وهوَ بَطِيءُ الخُطَى ، يَمشى مُتَثاقِلًا ، ولا يَقدِرُ عَلَى القفزِ كما تَقفِزِين ؟ وكَيفَ تَزْعُمِين أنه يُشْبِهُكِ ، وأَنتِ جميلَةُ المَنظَرِ ، حَسَنةُ التَّكْوِينِ ، رَقِيقَةُ الْجِلدِ ، لَمَّاعَةُ البَشَرَةِ ؛ عَلَى حِينِ أرَى جِسمَ « النَّقاقِ » مُشَوَّهًا ، تُغَطِّيه بُثُورٌ (خُرَّاجاتٌ صَغيرةٌ ودَمامِيلُ) كريهةٌ بَشِعةٌ ؟ »

٣ — فَضلُ « النقّاقِ »

فقالتْ لهُ :

« لَسْتُ أُنْكِرُ علَيكَ أنهُ يَبْدُو — لِمَنْ يَراهُ — قَبِيحَ الْمَنظرِ

دَمِيمَ الْخِلْقَةِ . ولٰـكِنْ : أىُّ ذَنْبٍ لهُ فى ذٰلك ؟ أتُراه كان قادِرًا عَلَى تَجْمِيلِ صُورتِهِ فلَمْ يَفعَلْ ؟ كَلَّا — يا « أبا بُرَيصٍ » — فإِنَّ مِن كمالِ عَقْلِكَ وأصالةِ رأيِك ألَّا تَغْتَرَّ بالظَّواهرِ ؛ فهِىَ لا تَدُلُّ علَى حقيقَةِ النفْسِ المُحَجَّبَة عنَّا (الْمَسْتُورةِ المُخبَّأَةِ) . إِنَّ « النَّقاقَ » — لَوْ عَلِمْتَ — مِن كِرامِ الضَّفادعِ ، وهوَ طَيِّبُ القَلبِ مَحْمُودُ الأَثَرِ . وما أجْدَرَ الناسَ أنْ يُحِبُّوه ؛ لِأَنَّ حياتَهُ وَقْفٌ علَى مُحارَبَةِ الْحَشراتِ الضَّارَّةِ الَّتى تُتْلِفُ الْحَرْثَ (الزَّرْعَ) ، وتُفْسِدُ البُقُولَ والْخُضَرَ . ولٰـكنَّ الناسَ — لِسُوءِ حَظِّه — لا يُنْصِفُونَهُ ، ولا يَقْدُرونَ هٰذا الصَّنيعَ (لا يَشْكرونَ لهُ هٰذا الْجَميلَ) . فكَيفَ لا أُحِبُّ هٰذا التَّاعِسَ الْمَظْلومَ ؟ »

فقال « أبو بُرَيْصٍ » : « لَقدْ حَبَّبْتَهُ إِلَى نَفْسى تِلكِ المآثِرُ (المفاخِرُ) الَّتى قَصَصْتَها علَىَّ . فما أكْرَمَه دابَّةً ! وما أبَرَّهُ مُصْلِحًا ! »

ثُمَّ استأْنَفَ « أبو بُرَيصٍ » قائلًا :

« لَقدْ جَنَّ اللَّيلُ (أظْلَمَ) ، ولا بُدَّ لى مِن العَوْدَةِ إلَى دارِى . وأنا علَى ثِقةٍ أنَّ أُسْرَتى ستَلْقانى غاضِبةً ؛ لأنّى تأَخَّرْتُ — فى هٰـذا

اليوْمِ — عنِ العودَةِ حتَّى هٰذهِ السّاعةِ . فوَداعًا، أيَّتُها الرّفيقة العَزيزةُ ! »

فقالتْ لهُ : « إلَى اللِّقاء القَريبِ ، يا أبا بُرَيصٍ . »

٤ — المَطرُ

وكانَ « أبو بُرَيصٍ » يَنامُ علَى صوْتِ الضَّفادِعِ – كلَّ لَيْلَةٍ — ويُطْرَبُ لأَناشِيدِها الجميلَةِ ، ونَقِيقِها الذى طالَما ألِفَ الاستِماعَ إليْهِ .

وبعْدَ أسابيعَ عِدَّةٍ ، أمطرَتِ السماءُ — فَجْأَةً — فى وَقتِ الصَّباحِ ، ثُمَّ هَطَلَتْ (تَتابعَ مَطرُها) ، وانْهمَرَ المَطرُ (سالَ غَزيرًا كَثيرًا) . حتَّى إذا كادَ النهارُ يَنتَصِفُ ، بَدَّدتْ أضْواءُ الشمسِ ما تَراكَمَ مِنَ السُّحُبِ الكَثيفة . وكان « أبو بُرَيصٍ » — فى أثْناء هُطُولِ الأَمطارِ — مُلازِمًا جُحْرَه فى نَفرٍ (جَماعةٍ) مِن أُسْرَتِه ، وهُم : « بُرَيصٌ » و « أبْرَصُ » و « سامُّ أبرصَ » ، وغَيْرُهم مِن الأَبارِصِ .

الفصل الرابع

١ — حديثُ الصَّديقيْن

فلمَّا تَقشَّعتِ السُّحُبُ وانْجَلَتِ الْغُيُومُ عنِ السَّماء، زالَ عَنهُ ما أَلَمَّ بهِ منَ الضَّجَرِ لِطُولِ احْتِباسهِ، وهَمَّ بالْخُرُوجِ منْ جُحْرِه؛ فرأى أمامَهُ صاحبَتَهُ «أمَّ هُبَيْرةَ»، فقالَ لَها:

«آهِ... لقدْ كُنتُ أُفكِّرُ في لِقائِكِ الآن. وإنَّما منَعَني منَ الذَّهابِ إليْكِ: ما كابَدْتُهُ — في هذا الصَّباحِ — منَ الضَّجَرِ والألَمِ؛ فقدْ نَزَلَ الْمَطرُ مِدْرارًا، فلمْ أستطِعِ الْخُرُوجَ منْ جُحْري

آه! ما كان أسْمَجَهُ صَباحًا!»

فقالتْ «دابَّةُ النَّهْرِ»:

«شَدَّ ما أخْطَأْتَ في حُكْمِكَ — يا «أبا بُرَيْصٍ» — فقدْ كان أجْملَ صَباحٍ عِندَنا — مَعشَرَ الضَّفادِعِ — ولقدْ مَنَّ اللهُ عَلَيَّ بهذا الْمطرِ — لِحُسْنِ حَظِّي — وأنا أحْوَجُ ما أكُونُ إليْه.

وما أدرِي : كَيْفَ كُنتُ أَصنَعُ لَوْ ظلّتْ حَرارةُ الشَّمْسِ مُرْتفِعةً ، كما كانتْ فى الأَيَّامِ السَّابقةِ ؟ »

٢ — القُـــرُ

ثُمَّ استأْنفَتْ « دابَّةُ النَّهْرِ » قائلةً :

« ولٰـكنَّ اللهَ — سُبحانهُ — قدْ أغاثنى بهٰذا المطرِ ، وأنْقذَ القُرَّ — أعْنى : بُوَيْضاتى — منَ التَّلفِ . »

فقالَ « أبو بُرَيْصٍ » :

« بُوَيْضاتِـكِ ؟ متَى كان ذٰلكِ ؟ كيفَ لَمْ تُخْبِرينى ؟

يالَكِ منْ صَديقةٍ عجيبةٍ ! أَعَنْ مِثْلِي تُخْفِينَ هٰذا السِّرَّ ؟ »

فقالتْ لهُ :

« كلَّا . . . لمْ أُخْفِ سِرِّى عَنْكَ . هاهِى ذِى بُوَيْضاتى فى قاعِ البِرْكةِ الصَّغيرةِ . اُنْظُرْ هٰذهِ الصُّرَّةَ الصَّفْراءَ وما فيها منْ نُقَطٍ سُودٍ صغيرةٍ . أجِلْ فيها بَصرَكَ ، وأَدِرْ نظرَكَ ، واعلَمْ أنَّ كُلَّ نُقطةٍ — منْ هٰذهِ النُّقَطِ — هِىَ بُوَيْضَةٌ منْ بُوَيْضاتى الّتى حدَّثتُكَ بها الآنَ . »

فقالَ « أبو بُرَيْصٍ » :

« وما بالُكِ تُلقينَ بها فى الماء ، أيّتُها التّاعِسةُ ؟ إنَّكِ — إذْ تَفعَلينَ ذلكِ — تُعرّضينَها للتّلَفِ ! »

فقالتْ « دابّةُ النّهرِ » مُتألِّمةً مُتملْمِلةً :

« لَمْ أختَرِعْ ذلكَ اختِراعًا ، ولَسْتُ فيهِ بِدْعًا (لَسْتُ أوّلَ مَنْ فَعَلَ هذا) . ولَمْ يَدُرْ بِخَلَدِى (لَمْ يَمُرَّ بخاطِرى) أنّنى أُعرِّضُ ذَرارِىَّ — وهِىَ قِطَعٌ مِنِّى — لِلْخَطَرِ حينَ أُلْقِي بها فى الْماء . . . فإنِّى رأيتُ الضَّفادِعَ — كُلَّها — لا تَبيضُ إلَّا فى الْماء . . . وقدْ فَعلْتُ مثْلَ فِعْلِها ، ولَمْ أَشِذَّ عنْ هذا الْعُرْفِ الشّائِعِ بينَ « بناتِ نَقْ نَقْ » جَميعًا . »

٣ — بعد ثمانيةِ أيام

وَمرَّ عَلَى هذا الحِوارِ ثمانيةُ أيامٍ ، ثم ذهبَ « أبو بُرَيْصٍ » إلى صديقَتِهِ « دابّةِ النهرِ » ليَزورَها ؛ فألْفاها جاثِمةً فى الماءِ — بِلا حَراكٍ — وَقدِ امتَدَّتْ يداها إلى خَلْفِها ، وظَهرَتْ على سِيماها (هَيْئتِها) أمارات

الفرَحِ والغِبْطةِ . ولمَّا رأتْ صَديقَها صاحتْ مُتَهلِّلةً فَرِحةً :

« هَلُمَّ ، يا « أبا بُرَيْصٍ » .

تَعالَ فانظُرْ صِغارى خارجاتٍ مِنَ البَيْضِ الذى رَأيتَه مُنذُ أيامٍ . آه ! يالَسَعـــادتى وَهنائى ! »

فقالَ « أبو بُرَيْصٍ » :

« كيْفَ تَزْعُمينَ أنَّ هٰذه الدَّوابَّ الغريبَةَ الشَّكلِ هىَ صِغارُكِ ؟ كلَّا يا عزيزتى ! كلَّا . ما أنتِ بمُصَدَّقةٍ ! ذٰلكِ مُحالٌ ، يا دابَّةَ النهرِ . »

فقالتْ لهُ مُرْتاعةً (خائفةً) :

« لَسْتُ أَشُكُّ فى أَنهُمْ أوْلادى . . . ألا تَرَى هٰذه الصِّغارَ خارجةً من بُوَيْضاتى ؟ ألا تَرَى جمالَ منظرِها ، وحُسْنَ شكلِها ؟ »

٤ — ذَواتُ الأَذنابِ

فقال لَها « أبو بُرَيْصٍ » وهو يَهتَزُّ ضاحكًا :

« أىُّ جَمالٍ تَرَيْنَهُ فى هٰذهِ الرءوسِ الضَّخمةِ ؟ لعَلَّكِ تَمزَحِينَ ! ما أظُنُّكِ جادَّةً فى قَوْلِكِ ، أيَّتها الصَّديقَةُ العَزيزةُ ؟

ألا تَنظُرِين إلى أذْنابها ؟ فـكَيْف تَجْلسُ هٰذه الأوْلادُ عَلَى الحشائشِ كَما تَجْلسِينَ ؟ ومتَى كانَ للضَّفادِعِ أذنابٌ ، أيَّتُها العزيزةُ البَلهاءُ ؟ »

فاشتَدَّتْ حَيْرَتُها ، وَلمْ تَعرِفْ كَيْفَ تُجيبُ صاحِبَها . وَساوَرَها الرَّيْبُ (أسرَعَ إليْها الشَّكُّ) ؛ فلَمْ تَجْزِمْ بشَىْءٍ . وإنَّما استَوْلَى عَليْها الحُزْنُ ؛ لِأَنها رأتْ تِلكَ الدَّوابَّ الرَّماديَّةَ اللَّوْنِ لَيسَ لها أيْدٍ تَسْبَحُ (تعُومُ) بها فى الماءِ ، وعَجِبَتْ من أذنابِهِنَّ عجَبًا شديدًا .

٥ — آكِلُ النَّباتِ

وَحانتْ من « أبى بُرَيْصٍ » التِفاتةٌ ، فصاحَ مَدهوشًا :

« انظُرِى — يا صَديقَتى — هاكِ مَوْلُودًا يَأْكُلُ مِنَ النَّباتِ الَّذِى

فى قاعِ الماءِ ؛ فَخَبِّرِينى بِربِّكِ : هلْ رأيْتِ – طُولَ عُمرِكِ – ضِفْدِعاً يأْكُلُ النَّباتَ ؟ »

فَقالَتْ « دابَّةُ النَّهْرِ » وقدْ كادَ البُكاءُ يَعْقِدُ لِسانَها :

« مهْما يَكُنْ منْ أَمرٍ ، فَإِنِّى على يَقينٍ أَنَّ هٰذهِ الدَّوابَّ قدْ خَرجَتْ من بُوَيْضاتِى ! »

فَقالَ « أَبو برَيص » :

« هيــهِ يا « دابَّةَ النَّهْرِ » . لقدْ عرَفْتُ حقيقةَ أمرِ هذهِ الدَّوابِّ الصَّغيرةِ ، وقَدْ أيقَنْتُ الآنَ أنها : سَمكٌ . »

فودَّعَتْه « دابَّةُ النَّهْر » ، وقالَتْ وهىَ مَحْزُونةٌ مُتأَلِّمةٌ :

« لقدْ جَهِلْتُ – مَعَ حِرْصى عَلَى المعْرفَةِ – فما أَدرِى شَيْئًا ! »

٦ – أُمْنِيَّةٌ تَتَحقَّقُ

وفى يوْمٍ منْ أيَّامِ « أُغُسطُسَ » الْحارَّةِ ، تَمَدَّدَتْ جَمهرَةٌ منَ الأبارِصِ عَلَى الْحائِط ، واسْتَقبلَتْ أشِعَّةَ الشَّمْسِ ، واسْتَسْلَمَتْ للدِّفْءِ والرَّاحَةِ ، وكانَ من عادَتِها أنْ تَقْضِىَ وقتَ الهَضْمِ فِى مثْلِ هٰذا

الْمكانِ ، مُخْلِدَةً (مُرْتكِنةً مُسْتَسْلِمةً) إلى الرَّاحةِ فى تلْكَ الْجِهةِ الْمُشْمِسَةِ الْحَبيبةِ إلى نُفوسِها .

وإنَّها لـكَذٰلكَ ، إذْ أقبلَتْ عليْها « دابَّةُ النَّهْرِ » بَعدَ أنْ صَعِدَتْ إلى سَطْحِ الْماء ، وصاحتْ تُنادِى « أبا بُرَيصٍ » بأَعْلى صَوْتِها — وقدِ اسْتَوْلَى عليْها الْفرَحُ — قائلةً :

« إلَىَّ ، يا صديقى العزيزَ . هلُمَّ لِأَزُفَّ إليْكَ بُشْرَى منَ الْبُشْرَياتِ السَّارَّةِ الّتى تَمْلَأُ قلْبَك غِبْطَةً وتُسكِنُ البهجةَ خَلَدَكَ (نَفْسَكَ) ! »

فأَقْبلَ عليْها « أبو بُرَيصٍ » مُسْتفسِرًا عنْ جَلِيَّةِ الْخَبَرِ (حقيقتِه) ؛ فابتَدَرَتْ (أسْرَعتْ) قائلةً :

« لقدْ أيقنتُ — اليومَ — أنَّ تلكَ الدَّوابَّ الّتى شَكَّكْتَنى فى حقيقتِها — مُنذُ أيَّامٍ — لَيستْ إلّا أوْلادِى .

وقدْ زالَ اللَّبْسُ والشَّكُّ ، وتأَكَّدَ لِى ذٰلكَ منْ كلامِ عَمِّى حينَ رآها . وهٰأنَذِى أدْعُوكَ لزِيارَتِها ، ولَيسَ الْخَبَرُ كالعِيانِ . »

٧ — « بَناتُ هُبَيْرَةَ »

فَسارَ مَعها « أبُو بُرَيصٍ » حتَّى وَصلا إلَى شاطئِ البِرْكَةِ ، فَرأى ما أدْهَشَهُ وحيَّرَه . أتعرِفُونَ ماذا رأى ؟

لقدْ أَبْصرَ « بَناتِ هُبيرةَ » : تلكَ الدَّوابَّ الرَّماديَّةَ اللَّوْنِ ، قدْ نبَتَتِ الْأَيْدِي فى أجْسادِها ، وقَصُرَتْ أذْنابُها . فاشْتدَّ عَجبُهُ ، والْتفَتَ إلى « دابَّةِ النَّهْرِ » يَسْألُها الصَّفْحَ قائلًا :

« لقدْ أخْطأْتُ حينَ شَكَكْتُكِ فى أمْرِ هٰذهِ الدَّوابِّ ؛ فاسْمَحِى لى أنْ أَزُفَّ إليْكِ تَهْنئاتِى الْخالصةَ بأطْفالِكِ الصَّغيراتِ . »

فقالتْ « دابَّةُ النَّهْرِ » مَزْهُوَّةً فخورةً :

« أشْكُرُ لكَ إخْلاصَك ووَلاءَك . وقدْ حَمِدْتُ اللهَ — سُبْحانَه — عَلى أنّهُ لَمْ يفجَعْنى فى أَمَلِي . وقدْ أخْبَرَنى عَمّى — حينَ سأَلْتُهُ — أن هٰذهِ الْبناتِ الصَّغيرةَ — حينَ تَنْتهِى منْ فَتْرَةِ الطُّفولةِ — تَصْغُرُ رُءوسُها شيْئًا فَشيْئًا ، حتَّى تتناسَبَ هِيَ وأجْسادُها . ثُمَّ تُصْبِحُ — بعدَ ذٰلكَ — ضفادِعَ تامَّةَ التّكْوينِ مِثْلَنا ، جَميلةَ الشَّكلِ ، مُخْضَرَّةَ اللَّوْنِ ، حَسَنَةَ التَّقْسيمِ والتّقْويمِ . »

٨ — عاقِبةُ الطَّيشِ

ثُمَّ سَمِعَ الصديقانِ صَوتًا ضعيفا يُنادِي ويُغَوِّثُ (يَستَغيث) طالبًا النَّجْدةَ . فالتَفتا يَتعرَّفان مَصْدرَ الصوْتِ . وما أَدْرَكا جَلِيَّةَ الأمْرِ (حقيقَتَه)، حتى هالَهُما ورَوَّعهما (خَوَّفهما ورعَّبهما) ما حَدَثَ . فقدْ رَأيا طِفلًا مِن أطفالِ « دابّةِ النهرِ » اسمُهُ : « المُلْجُومُ » ، دفَعه الطَّيشُ والغُرورُ إلَى الخُروجِ مِن البِرْكةِ إلى الشاطِئ . ولم يَكدْ يَفعلُ حتى اشْتبَكَ فى الحشائشِ ، ولم يَقْدِرْ عَلَى العَوْدةِ مِن حَيثُ أتَى . وارتَمَى ذٰلك الطِّفلُ على ظَهرِه ، وسَرَتِ الرِّعْدةُ والرِّعشةُ فِي جِسْمِهِ الصَّغيرِ .

فسألَ « أبو بُرَيصٍ » صَديقَته مُتَعجِّبًا : « ماذا أصابَ التاعِسَ المِسكينَ ؟ لقدْ يُخَيَّلُ إلى رائيهِ أنه يَخْتَنِقُ ويُوشِكُ أنْ يَفقِدَ الحَياةَ . »

فقالت « دابّةُ النهرِ » : « صَدَقتَ — يا صاحِ — فقدْ أخبَرَنى عمِّى أنّ أطفالَنا تَتَنَفَّسُ فى الماء كما يَتنفسُ السَّمَكُ . ولقد أخطَرَ هٰذا الطائشُ نَفسَه (أدْخلَها فى الخَطرِ ، وعرَّضَها لِلهَلاكِ) حين خرَج إلى الشاطِئ . وها هوَ ذا يَخْتنِقُ — كما تَرَى — فكَيْفَ أصنَعُ ؟ »

ثمّ عَنَّتْ (عَرَضتْ) لها فِـكْرةٌ مُوَفَّقةٌ سَدِيدةٌ ؛ فأسْرَعتْ إلى طِفلِها ، ودَفَعتْه بِفمِها قَليلًا ، ثمَّ قَذَفتْ به إلى الماء .

فَلَبِثَ المِسكينُ طافِيًا علَى وَجْهِ الماء بِلا حَراكٍ ، وقدْ يَئِسَ مِنْ حَياتِهِ كُلُّ مَن رآه . ولٰـكنَّ إخْوَتَه وأصدِقاءه أسرَعُوا إلَيْه ، وظَلُّوا يَسبَحُون (يَعومُون) حَوْل « العُلْجومِ » ، ويَنظُرون إليْه بِعيونٍ مِلْؤُها الجَزَعُ والأَسَفُ . فقالَتْ « أُمُّ هُبَيْرةَ » فى حُنُوٍّ وإشْفاقٍ :

« لقدْ ماتَ وَلَدِيَ العَزِيزُ . فَوا حَزَنا علَيْه ! »

فصاح « أبو بُرَيصٍ » فَجْأةً : « كَلَّا . لمْ يَمُتْ ، ولا يَزالُ فى الأَمَلِ فُسْحةٌ — يا صَديقى — فإنِّى أرَى جِسمَه يَتَحرَّكُ . ها هوَ ذا يُحَرِّكُ إحْدَى يدَيْه . »

٩ — نَجاةُ « العُلْجومِ »

فَدَبَّ الأَمَلُ فى نُفوسِ الحاضِرين ، حين رأَوْا ذٰلكَ الضِّفْدِعَ الصَّغيرَ يَعودُ إلى الحَياةِ شيْئًا فَشيْئًا . ولَمْ يَلْبَثْ أنِ اسْتعادَ ذا كِرَتَه ، وسأَلَ مَنْ حَوْلَهُ : « تُرَى أيْنَ أنا ؟ وماذا أصابَنى ؟ آهٍ ! لقدْ ذَكَرْتُ الآنَ كلَّ

شَيْءٍ ، وعرَفْتُ خَطَرَ ما أقْدَمْتُ عليه حينَ قفزْتُ منَ الْماءِ إلى كُومَةِ الْحَشائشِ ؟ وإنَّما حَفزَنِى إلى ذٰلكَ شَوْقى إلى رُؤْيَةِ هٰذا السَّيِّدِ الطَّوِيلِ الْأَنْفِ ، الّذِى يَتحدَّثُ — أكْثَرَ الْوَقْتِ — معَ أُمِّيَ الْحَنُونِ . ولَنْ أُجازِفَ مَرَّةً أُخْرَى ، وحَسْبِي أنْ كُتِبَتْ لِيَ السَّلامةُ بَعدَ الْيأْسِ ! »

ثُمَّ هَتفَ الضِّفْدِعُ قائلًا : « شُكْرًا لِلْماءِ ! »

فردَّدتْ إخْوتُهُ هُتافَهُ ، فَرِحةً مُستبْشِرَةً .

ثُمَّ عاوَدهُ المرَحُ ، وَشارَكَهُ فى مَرَحِهِ أخَواتُهُ : الشِّرْغُ ، والشُّرْنوغُ ، وأَبو هُبَيْرةَ ، ودابَّةُ الماءِ ، والقُرَّةُ ، والعُدْمُولُ ، والهاجَةُ ، والهُوَيْجَةُ. وَغاصُوا مَعهُ إلى قاعِ الماءِ مَسرورينَ بِنَجاتهِ من هَلاكٍ مُحَقَّقٍ .

١٠ — دُرُوسُ النَّطِّ

وَلمْ يُوفِ الصَّيْفُ عَلَى نِهايتِهِ ، حتَّى كَبِرَتْ أَطفالُ « دابَّةِ النّهرِ » واستَخْفَتْ أذْنابُها الطَّوِيلة ، وسَمِنتْ أجْسادُها النَّحيلةُ . وكانتْ « بناتُ هُبَيْرَةَ »— فى تِلكَ الْأَثناءِ — تُقْبِلُ على الطّعامِ فى شَرَهٍ عَجيبٍ . وقد نشَأَتْ لِكُلِّ ضِفْدِعٍ مِنهُنَّ يَدانِ قصيرَتانِ ، وَرِجْلانِ طَويلَتانِ .

وقدْ عَراهُنَّ (أَلَمَّ بِهِنَّ) الخَوْفُ حينَ خرَجْنَ منَ الماءِ — لِلْمَرَّة

الأُولى – ولٰـكنَّ أُمَّهُنَّ شَجَّعَتْهُنَّ على اتِّباعِها ؛ حتَّى إذا وَصَلْنَ إلى الحَشائشِ ، ظَلِلْنَ يُمَرِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ على القَفْزِ والنَّطِّ . وَقد أَوْصَتْ « أُمُّ هُبَيْرَةَ » بناتِها أَن يَقْتَصِدْنَ فى قفزِهِنَّ ؛ حتَّى لا يَدْفَعَهُنَّ الطَّيْشُ والحَماقةُ إلى الهَلاكِ . وَقدِ اجتمَعَتِ الضَّفادِعُ الكَبيرَةُ أَسْراباً (جَماعاتٍ) ؛ لتَشهَدَ ذٰلكَ التَّمْرِينَ ، وَأُعْجِبَتْ بِما أظْهرَتْهُ تِلكَ الصَّغيراتُ منَ الحِذْقِ والبَراعةِ والذَّكاءِ . على أنَّ إحْدى هٰذه الضَّفادِعِ ، واسْمُها « القُرَّةُ » ، قَفَزَتْ – بِلَا تَبصُّرٍ – قَفْزَةً عالِيَةً ؛ فَهوَتْ على أَنفِها ، فَتهشَّمَ وتَحَطَّمَ .

١١ – دُرُوسُ الصَّيْدِ

وَما زالَتْ « دابَّةُ النهرِ » تُعَلِّمُ ذَرارِيَّها (أَوْلادَها) : كَيْفَ تَبتَلِعُ الحَشَراتِ والخَنافِسَ التى تُصادِفُها فى طَرِيقِها ؟ وَكَيْفَ تَصْطادُ أَسْرابَ الذُّبابِ (جَماعاتِهِ) الرَّاقِصَةَ حَوْلَ الغَديرِ ؟ وهوَ أَشْهى طَعامٍ تَرْتاحُ إليهِ الضَّفادِعُ . وما تَذَوَّقَتْهُ صِغارُها حَتى آثَرَتْهُ (اخْتارَتْهُ وَفَضَّلَتْهُ) على كلِّ شَيْءٍ ولمْ تَرْضَ بِهِ بَدِيلًا .

١٢ – دُرُوسُ المُوسِيقَى

وَاعْتزَمَتْ « أُمُّ هُبَيْرَةَ » أن تُعَلِّمَ صِغارَها : كَيْفَ تَنِقُّ (كيفَ تَصِيح) ،

وَكَيْفَ تُنَقْنِقُ (كَيْفَ تُصَوِّتُ صَوْتًا يَفْصِلُ بَيْنَهُ مَدٌّ وَتَرْجِيعٌ) ، وَكَيْفَ تُنْشِدُ أجْمَلَ الْأَناشِيدِ ، وَتُغَنِّى أحْسَنَ الْأَغانِىِّ الْمُسْتَفِيضَةِ الشُّهْرَةِ بَيْنَ الضَّفادِعِ ؟ وَكانَ صَوْتُها أَبَحَّ (فِيهِ بُحَّةٌ وَخُشُونَةٌ وَغِلَظٌ) شَأْنُ أُمَّاتِ الضَّفادِعِ دائماً ؛ فلَمْ تَرَ بُدًّا مِنْ أنْ تُوصِيَ شَيْخَ الضَّفادِعِ أنْ يُلَقِّنَهُنَّ الْمُوسِيقَى بِصَوْتِهِ الْجَمِيلِ .

وَكانتْ هٰذِهِ الْأَبْناءُ تُقبِلُ على دُروسِها فى جِدٍّ واجْتِهادٍ وَحَماسةٍ . فَإِذا انْتَهَتْ مِنْ حِفْظِ التَّمرِيناتِ الْمُوسِيقِيَّةِ ، انْتَقَلتْ إلى التَّدَرُّبِ على إلْقاءِ الأغانى الشَّعْبِيَّةِ الذَّائعةِ بَيْنَ الضَّفادِعِ .

١٣ — أناشيدُ الضفادِعِ

وكانتِ الضَّفادِى (الضفادعُ) تُنَظِّمُ صُفوفَها عَلَى شاطِئِ الغَدِيرِ ، حَيْثُ تَقْضِى السَّاعاتِ الطِّوالَ ، وَهِيَ لا تَكِلُّ ولا تَنِي (لا تَضْعُفُ هِمَّتُها ولا يَفْتُرُ عَزْمُها)

عنْ مُواصَلةِ النَّقيقِ . ومَتى تَألَّقَتْ (أضاءتْ ولمَعتْ) كواكِبُ السماءِ ، رَأَيتَ صِغارَ الضفادعِ جاثماتٍ (مُقيماتٍ) عَلَى أوْراقِ « النِّيلُوفَرِ » ، حَيثُ تَقُصُّ علَى العالَمِ أَحْلامَ سَعادتِها . ولا تزالُ تُحَيِّي مصابيحَ السَّماءِ (نُجومَها) بأناشيدِها حتى تَسْتَسلِمَ إلى رُقادِها الهَنِيِّ فى أمْنٍ وسَلامٍ .

١٤ — خاتِمَةُ القِصَّة

وهٰكذا عاشَتْ « دابَّةُ النهرِ » هانِئَةً وَسْطَ أُسرَتِها الْجَميلةِ ، وعاشَ — إلَى جانبِها — صديقُها الوَفِيُّ المُخْلِصُ : « أبو بُرَيْصٍ » ، يُقاسِمُها السَّعادةَ والهَناءَ .

آراء في مَكْتَبَةِ الكِيلانيِّ لِلأَطفالِ

الأَدِيبُ الكَامِلُ الأَدَواتِ(١)

عِنْدَما أَتاحَ لِيَ الْقَدَرُ — هٰذِهِ الْمَرَّةَ — دُخُولَ « مصْرَ » بَعْدَ غَيْبَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَنْ هٰذا الْوَادِي الْمُقَدَّسِ ، أَلْفَيْتُ — فِيما أَلْفَيْتُ مِنْ كُنُوزِها — خَبِيئَةً مَكْنُونَةً يُقالُ لَها : « السَّيِّدُ كامل الكيلانى » ؛ إِذْ لَيْسَ مِنْ ذَوِي الْمَناصِبِ الرَّسْمِيَّةِ الْمالِيَةِ ، وَلٰكِنَّهُ مِنْ ذَوِي الْمَناصِبِ النَّفْسِيَّةِ الْعالِيَةِ : أَقامَهُ أَدَبُهُ بِالْمُقامِ الَّذِي قَعَدَ عَنْهُ مَنْصِبُهُ . وَما زالَتْ رُتْبَةُ الْعِلْمِ أَعْلَى الرُّتَبِ .

• • •

فَمَنْ عَرَفَ هٰذا الْجِهْبِذَ الْفَذَّ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ ، رَأَى فِيهِ بَحْرًا زَخَّارًا يُغْرِقُ مُنافِسِيهِ بِكُلِّ لُجَّةٍ ، وَعَثَرَ عَلَى خِزانَةِ أَدَبٍ مُكْتَظَّةٍ ، صاحِبُها حُجَّةُ اللُّغَةِ لا « ابْنُ حِجَّةَ » : نادِرَةُ زَمانِهِ فِي الْحِفْظِ ، وَأُعْجُوبَةُ عَصْرِهِ فِي النَّقْدِ ، وَآيَةٌ مِنْ آياتِ اللهِ فِي سَلامَةِ الذَّوْقِ ، وَالْمَثَلُ الْبَعِيدُ

(١) بقلم الأمير شكيب أرسلان .

فِي الْبَدِيهَةِ ، وَالْمُسْتَوْلِي عَلَى الْأَمَدِ فِي حَرارَةِ النُّكْتَةِ ، وَالْقِياسُ الْأَتَمُّ فِي حُسْنِ الْمُحاضَرَةِ .

هٰذا إلَى أَخْلاقٍ رَضِيَّةٍ ، وَمنازِعَ أَبِيَّةٍ ، وصَفاءِ سَرِيرَةٍ ، وَوَفاءِ شِيمَةٍ ؛ وَلا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَمْ يُزَيِّنْهُ خُلُقٌ ، وَلا جَداءَ فِي دَرْسٍ لَيْسَ وَرَاءَهُ نَفْسٌ .

وَهُوَ فِي هٰذا الْعَصْرِ مِنْ سُبَّاقِ حَلْبَتِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ :

يَكْفِيهِ فَخْرًا وَأَجْرًا سِلْسِلَةُ الْكُتُبِ الَّتِي أَلَّفَها لِلْأَطْفالِ ؛ فَشاعَتْ فِي الْأَقْطارِ ، وَطارَتْ شُهْرَتُها كُلَّ مَطارٍ .

وَقَدْ كانَ فِيها نَسِيجَ وَحْدِهِ ؛ فَأَوْدَعَ فِيها جَمِيعَ ما تَلْزَمُ الْأَحْداثَ مَعْرِفَتُهُ مِنْ أُمُورِ الْكَوْنِ ، عَلَى حَسَبِ دَرَجَةِ السِّنِّ . وَذٰلِكَ بِأُسْلُوبٍ مَتِينٍ تَتَجَلَّى فِيهِ قُوَّةُ اللُّغَةِ ، وَتُنَشَّأُ بِهِ عِنْدَ الْأَحْداثِ مَلَكَةُ الْعَرَبِيَّةِ ، وَبِلَهْجَةٍ رَقِيقَةٍ تُناسِبُ رِقَّةَ قَلْبِ الطِّفْلِ ، وتَزِيدُهُ رَغْبَةً فِي الدَّرْسِ ، وَتَطْبَعُهُ عَلَى الْأَخْلاقِ الْفاضِلَةِ ، وَتُنَشِّئُهُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ مُبِينٌ .

فَكانَتْ هٰذِهِ الْمَأْثَرَةُ لِلسَّيِّدِ الْكِيلانِيِّ مِنْ أَبْكارِ الْمَآثِرِ ، لا يَتَمارَى فِيها مُتَمارٍ : سَدَّ بِها ثُلْمَةً فِي عِلْمِ التَّرْبِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ كانَتْ

مِنْ أَهَمِّ عَوارِها ، وَحقَّقَ — فِى مُهِمَّةِ تَهذِيبِ النَّشْءِ — أُمْنِيَّةً هِىَ مِنْ أَعْظَمِ لُباناتِها . فكانَتْ لَهُ رِياسَةُ هٰذا الْفَنِّ بِحَقٍّ ، وَما ظَلَمَ مَنْ قالَ : إِنَّهُ اسْتَأْثَرَ فِيهِ بِالسَّبْقِ . فَجَزاهُ اللهُ خَيْرَ ما يَجْزى عِبادَهُ الْعامِلِينَ .

وَهٰذِهِ مِنِّى شَهادَةُ مَنْ رَأَى وَسَمِعَ ، أُشْهِدُ بِها عَلَىَّ اللهَ وَعِبادَ اللهِ : « وَلا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللهِ . إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ » .

وآخِرُ دَعْوانا أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعالَمِينَ .

مصر فى ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٨

شكيب أرسلان

أُسْلُوبُ الكيلانِىِّ

... وَتَمْتازُ تَوالِيفُ الكيلانِىِّ بِالْبَساطَةِ فِى التَّعْبِيرِ ، والصِّحَّةِ فِى الأَلْفاظِ ، والرِّقَّةِ فِى التَّرْكِيبِ ، والدِّقَّةِ فِى الأَداءِ ، والسَّلاسَةِ والسُّهُولَةِ ، مَعَ اجْتِنابِ كُلِّ غَرِيبٍ وَنابٍ ، وَمَعَ تَوَخِّى التَّدَرُّجِ بِالطِّفْلِ .

هٰذا إِلَى الشَّكْلِ الْكامِلِ — حَتَّى يُؤَمَّنَ الْخَطَأُ — والإِكْثارِ مِنَ الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ الْمُغْرِيَةِ بِالْقِراءَةِ ...

إبراهيم عبد القادر المازنى

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٢٨٢٧
الترقيم الدولى	ISBN 977 – 02 – 3992 – 5

١ / ٩٢ / ١٢٣
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

مكتبة الأطفال بقلم كامل كيلانى

قصص فكاهية

١ عمارة . ٢ الأرنب الذكى .
٣ عفاريت اللصوص. ٤ نعمان .
٥ العرندس . ٦ أبو الحسن .
٧ حذاء الطنبورى . ٨ بنت الصباغ .

قصص من ألف ليلة

١ بابا عبد الله والدرويش .
٢ أبو صير وأبو قير . ٣ على بابا .
٤ عبد الله البرى وعبد الله البحرى .
٥ الملك عجيب . ٦ خسروشاه .
٧ السندباد البحرى . ٨ علاء الدين .
٩ تاجر بغداد . ١٠ مدينة النحاس .

قصص هندية

١ الشيخ الهندى . ٢ الوزير السجين .
٣ الأميرة القاسية . ٤ خاتم الذكرى .
٥ شبكة الموت . ٦ فى غابة الشياطين .
٧ صراع الأخوين .

قصص شكسبير

١ العاصفة . ٢ تاجر البندقية .
٣ يوليوس قيصر . ٤ الملك لير .

أساطير العالم

١ الملك ميداس . ٢ فى بلاد العجائب .
٣ القصر الهندى . ٤ قصاص الأثر .
٥ بطل أتينا . ٦ الفيل الأبيض .

قصص علمية

١ أصدقاء الربيع . ٢ زهرة البرسيم .
٣ فى الاصطبل . ٤ جبارة الغابة .
٥ أسرة السناجيب . ٦ أم سند وأم هند .
٧ الصديقتان . ٨ أم مازن .
٩ العنكب الحزين . ١٠ النحلة العاملة .

أشهر القصص

١ جلفر فى بلاد الأقزام .
٢ « فى بلاد العمالقة .
٣ « فى الجزيرة الطيارة .
٤ « فى جزيرة الجياد الناطقة .
٥ روبنسن كروزو .

قصص عربية

١ حى بن يقظان . ٢ ابن جبير فى مصر والحجاز .

قصص تمثيلية

١ الملك النجار .



دار المعارف

٢و٠٠